الفن

للفن الهادف دور في نشر الفضيلة والتعبير عن قيم المجتمع. وعلاقة الدين بالفن ليست علاقة شرطي المرور بالمخالفين. ليست علاقة الابن العاق بوالديه. في الآية الكريمة جاء: «وأحسن كما أحسن الله إليك». وفي الحديث الشريف «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه» والجمال من صفات الخالق تعالى: «إن الله جميل يحب الجمال». الإبداع هو الهدف الأصيل للفن. ومعظم الناس ربما لا يكون لديهم موهبة في النحت أو الشعر أو الرسم. لكنهم جربوا ذلك الشعور بالإبداع والتسامي الروحي بطريقة أو أخرى.

الدين والفن يشتركان في القضية نفسها. فالدين يزكي الخلود والمطلق. ويزكي الأخلاق الخير والحرية ويزكي الفن الإنسان والخلق. وهنا نواح مختلفة لحقيقة داخلية واحدة يتم التعبير عنها. وهي متناسلة في جذور واحدة. الشاعر العربية مثلاً هي السارح الأولى. وهكذا..

ما أجمل الأدب عرساً راقياً مشرقاً منظوماً على أسمى المعاني التي ترتقي فتشفي أو تشفي لترتقي. ما أجمل البراعة البديعة التي خطت على جبين الأفق. وفي ضمير الزمان والإنسان. أبدع الملوحات وأروع الكلمات.

في وقت سكن فيه أكثر الكتاب والكتبة، تبقى الكلمة المبدعة تتعرّى مع السحر وتتناثر الروائح مع شذا النسيم وبريق النجوم.

العطاء الروحي، هو العطاء.. هو الذي يتدفق صوراً وعبيراً وندى. والشاعر الشاعر يسكب روحه التي هي من روح الله، في شعره فيمتزج بالنسيم العليل وبالدور المتفتح من ثغر الفجر، حينما يتنسّم الطهر.

هذا هو الخلود الذي تطلبته الأديان، وما سواه ظلال.

كل شيء يزول، إلا رنة القافية في سمع الخضمي، أو لحن أنشودة بين أجفان الشفق والغسق، يخلق إلهاماً يمجد الخلاق. فلقد أعطي من بادئ الأكوان موهبة أو وزنة، فتيقظي من الغفلة وزادي.

إن سجرّد له للموزون أو للمغني أو للمرتم، هو أشبه بحسلاة ترتفع إلى ما فوق السحب لتلاقي الزرقة سماء ماجدة. الفن أرقى لغة تفاهم بين الملايين، وكم يحتاج وطننا وبنيا العرب إلى أن يمدد الله إليهما عدداً أكبر من الفنانين ليزيدوا الحياة قوة وروعة وجمالاً يجمع بين الأديان والطوائف ما فرقته السياسات الرعناء.

د. جهاد نعمان

أستاذ في المعهد العالي للدكتوراه